

أنا وأنت على الطريق
التبرع بالمال يدخل السعادة إلى القلب

سيدتي المستمعة،

هل سمعت سيدتي بما صرّح به أحد الرجال الأغنياء الملياردير الألماني ديتمار هوب في خبر نقلته الصحيفة العربية مؤخراً؟ قال تحت عنوان: إنَّ التبرع يُدخل السعادة إلى القلب. فتعالى سيدتي نستمع إلى ما جاء فيه:

أكد الملياردير الألماني ديتمار هوب أن التبرع بالمال مسألة تدخل السعادة إلى قلب المتبرع. وقال هوب، أحد مؤسسي شركة (ساب إيه جي) للبرمجيات التي تُعدُّ رابع أكبر شركة برمجيات في العالم : إنه لم يندم للحظة واحدة على الخطوة التي اتَّخذها قبل خمسة عشر عاما وتمثلت في تخصيص نصف ثروته لإقامة مؤسسة خيرية لمساعدة أطفال ومرضى ومسنين بأكثر من ٢٥٠ مليون يورو. وأكد رجل الأعمال الشهير في تصريحات لصحيفة بيلد الألمانية واسعة الانتشار - تصلني العديد من الخطابات من آباء تلقى أولادهم العلاج من خلال مؤسستي ومن أشخاص مسنين يشعرون بالامتنان. إنها تجربة إيجابية تجعلني أشعر بالسعادة.

وتعقياً على تعهّد أكثر من ٤٠ مليارديرا أمريكياً بالتبرُّع بنصف ثروتهم ومطالبة ساسة ألمان المليارديرات في ألمانيا بفعل الشيء نفسه قال هوب أيضاً: على الساسة الذين يطالبون بهذا الأمر أن يفكروا أولاً في كيفية بناء ثقافة تبرع مشابهة عندنا لما هي في أمريكا. وحول رأيه فيما إذا كان أثرياء ألمانيا يمكن وصفهم بالكرم أم بالحرص قال هوب: من الصعب الإجابة على هذا السؤال ولكنني أعتقد أنهم يميلون إلى الحرص.

وهل تعلمين سيدتي أنّ أكثر النساء والأمهات هنَّ معطاءات أيضاً؟ أي يحبين العطاء؟ ليس من مالهن فحسب بل من أوقاتهن وأنفسهن وحياتهن أليس كذلك؟ فالأم بطبيعتها معطاءة لأنها تهبُّ نفسها وحياتها لأولادها وعائلتها. وهناك أمثلة عديدة نستطيع أن نقدّمها في هذا المنحى لنساء فاضلات أعطين من حياتهن الكثير وضحيّن بالغالي والرخيص في سبيل أولادهن وعائلاتهن. ومؤخراً فقط سيدتي حضرت جنازة أو مأتما توفيت فيه امرأة فاضلة عاشت من السنين الكثير. كان فحوى كلام أولادها وبناتها وإخوتها عنها هو كم أنها كانت معطاءة تحب الآخرين وتهب كل من حولها مما عندها من كل القلب. ليس العطاء هو التبرُّع بالمال فقط، بل العطاء هو أشمل من ذلك بكثير. العطاء من النفس من القلب من الوجدان لكل من هو محتاج.

لقد علمَ الرب يسوع المسيح والمعروف عند البعض ب عيسى بن مريم في موعظته الشهيرة على الجبل فقال عن هذا الموضوع بالذات مذكراً ما يلي: سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن. وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر. بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً. ومن سخرك ميلا واحدا فإذهب معه اثنين. من سألك فأعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا تردّه. (متى ٥: ٣٨ - ٤٢) إذن يعلمنا الرب يسوع تعليماً مختلفاً عن مفهوم الناموس القديم الذي هو عين بعين وسن بسن. ألا وهو تعليم أسمى وأرقى لأنه يتخطى الوصية إلى ما هو أبعد وأعمق منها. فيقول إذا أراد أحد أن يأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً. أي امنحه حتى ما تحتاجه أنت الذي هو الرداء. وهذا هو بيت القصيد يا سيدتي. بمعنى أن تعليم الرب يسوع هو العطاء من الحاجة. وليس من الفائض علينا. لأننا حين نكون محتاجين ونعطي الآخرين فإننا نثق بالتالي بأن الله سيعوّض علينا أضعاف ما أعطينا. فنتبارك نحن ونبارك الآخرين أيضاً.

ولقد غيّر تعليم المسيح يا سيدتي مفاهيم الناس من حوله فعندما التقى مثلاً مرة الرب يسوع في أريحا رجلا اسمه زكا وهو رئيس للعشارين . والعشار هو من كان يأخذ الجباية من الناس ويعطيها للحكومة الرومانية، لذا فكان ممقوتاً من قِبَل الناس اليهود. هذا التقاه يوماً يسوع وهو جالس على شجرة الجميز لأنه كان قصير القامة وأراد أن يرى يسوع. فلما رآه يسوع من بعيد قال له: يا زكا أسرع وانزل لأنه ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك. فأسرع زكا ونزل وقبله فرحاً. فلما رأى الجميع ذلك تدمروا قائلين إنه دخل لبيبت عند رجل خاطئ. فوقف زكا وقال للرب ها أنا يارب أعطي نصف أموالى للمساكين وإن كنت قد وشيت بأحد أردُّ أربعة أضعاف. فقال له يسوع: اليوم حصل خلاص لهذا البيت. لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك.

إن هذا اللقاء مع الرب يسوع المسيح غيّر قلب زكا رئيس العشارين وجعله يتوب عن الطريق الذي سلكه في الماضي. وليس هذا فحسب تبرع بنصف ماله للمساكين والفقراء ورد أربعة أضعاف عما أخذه من الناس جباية للرومان . نعم يا سيدتي إن الرب يسوع يغير القلب من الداخل، ليس قلب الأغنياء فحسب بل قلوب الفقراء أيضاً، فيصبحون يعطون ومن حاجتهم للآخرين . ترى، هل أدركت معي مفهوم تعليم الرب يسوع المسيح الذي يمس صميم الإنسان وفكره وأحاسيسه ووجدانه ؟ ليس المظهر هو المهم بل الجوهر .
